

اقليم الجبال والصراع الخوارزمي - المغولي

(٦١٥-٦١٧هـ/١٢١٩-١٢٢١م)

أ.م.د. درويش يوسف حسن جامعة

م.م هدار سليم صالح

دهوك /كلية التربية الاساسية

جامعة دهوك /كلية التربية الاساسية

(مُلَخَّصُ البَحْث)

تغطي هذه الدراسة مدة صعبة من تاريخ اقليم الجبال والمتمثلة بسيطرة السلطان الخوارزمي على اقليم الجبال سنة (٦١٤هـ/١٢١٨م) واستعادة النفوذ الخوارزمي فيه، والتقدم نحو عاصمة الخلافة. ويسعى البحث ايضا الى تحديد موقف الخلافة العباسية من هذا التوسع الخوارزمي باتجاه اراضيها وسبل التصدي لها. وتناول اثر الصراع الخوارزمي المغولي على المنطقة خلال السنوات (٦١٦-٦١٧هـ/١٢٢٠-١٢٢١م). والذي يمكن ان تعدد البدايات الاولى للغزو المغولي على المناطق المجاورة لأراضي الخلافة العباسية من خلال تجهيز المغول لفرقتين عسكريتين بقيادة امهر قائدين لملاحقة السلطان الخوارزمي الهارب الى اقليم الجبال والقضاء عليه، كما تناول هجمات المغول في اثناء تعقبهم للسلطان الخوارزمي منتقلين بين مدن اقليم الجبال وممارستهم عمليات السلب والنهب والقتل بحق اهالي تلك المدن.

المقدمة

يعد اقليم الجبال^(١) (العراق العجمي) أحد الاقاليم المهمة في المشرق الاسلامي لانها تمثل الجناح الشرقي للخلافة العباسية اذ كان يشترك في حدوده الغربية مع اقليم العراق العربي الذي تقع فيه بغداد عاصمة الخلافة، فضلا عن حدوده الشرقية المجاورة لاقليم خراسان، ويحده من الجنوب اقليم خوزستان، مما كان له الاثر البالغ في الظروف السياسية، في منطقة المشرق الاسلامي لذا فقد تأثر اقليم الجبال بالصراعات التي نشبت بين اكبر القوى السياسية في تلك المدة، المتمثلة بالدولة الخوارزمية والخلافة العباسية فضلا عن دولة المغول التي اكتسحت معظم اقاليم المشرق الاسلامي. وفي نهاية الامر تمكن المغول من فرض سيطرتهم على اراضي الدولة الخوارزمية جميعها ومن ضمنها اقليم الجبال في اثناء ملاحقتهم للسلطان محمد خوارزمشاه الهارب الى هذا الاقليم.

وكان هدف البحث عرض وتحليل للأسباب الرئيسية ومن حملة السلطان محمد خوارزمشاه على اقليم الجبال ومحاولة السيطرة على عاصمة الخلافة العباسية وانهاء حكم الخليفة الناصر. وجرت مناقشة دور مؤسسة الخلافة والخليفة في كيفية

التصدي لمشاريع السلطان الخوارزمي واطماعه التوسعية في المنطقة. وجرت مناقشة الصراع المغولي الخوارزمي وأثره على اقليم الجبال في مختلف النواحي. اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر المهمة ولاسيما المعاصرة لحقبة هذه الدراسة مثل (سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي) للنسوي الذي اشار الى اسباب حملة السلطان محمد على اقليم الجبال، وكذلك تطرق الى الحروب التي جرت بين القوات الخوارزمية والمغول وكيفية مطاردتهم للقوات الخوارزمية من اقليم الجبال. ومن المصادر المهمة ايضا كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الاثير الذي كان معاصرا للأحداث الاولى للغزو المغولي للمشرق الاسلامي حتى وصولهم الى اقليم الجبال وما ارتكبته قواتهم من اعمال وحشية بحق سكان مدن الاقليم، و قدم كتاب (تاريخ جهانكشاي) للمؤرخ عطا ملك الجويني، معلومات دقيقة عن هذه الحقبة ولاسيما فيما يتعلق بهروب السلطان محمد خوارزمشاه امام القوات المغولية الى مدن وقلاع اقليم الجبال وما كان ينوي القيام به من النجاة بنفسه، حتى انه فكر في الهرب واللجوء الى بغداد طلبا للامان من الخليفة العباسي.

المبحث الاول: حملة السلطان محمد خوارزمشاه على اقليم الجبال سنة (١٢١٨هـ/١٢١٨م)

بعد تولي محمد خوارزمشاه السلطة في الدولة الخوارزمية خلفا لوالده تكشف (٥٩٦هـ/١١٩٨م) كان عليه معالجة ما تركه والده من مشاكل سياسية وعسكرية مع القوى المجاورة فضلا عن مشاكله الداخلية التي اثارها منافسوه ضده على السلطة. ولهذا فقد انشغل السلطان محمد طوال هذه الحقبة الممتدة ما بين (٥٩٦-٦١٤هـ/١١٩٩-١٢١٨م) في حروب خارجية ونزاعات داخلية، فلم يجد من الوقت ما يكفي للتوجه غربا لاستعادة سلطته المباشرة على اقليم الجبال منذ ان فقدت تلك السلطة بعودة والده سنة (٥٩٥هـ/١١٩٧م) كذلك اشغلت هذه المشاكل عن الدخول في صراع عسكري مع الخلافة العباسية^(٢).

وبعد ان تمكن السلطان محمد من تثبيت نفوذه في الداخل والقضاء على منافسيه وفي مقدمتهم ابن اخيه هندوخان واخيه علي شاه سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م)، تفرغ الى محاربة اعداء والده التقليديين وهم القراخانيين في بلاد ما وراء النهر والغوريين في غزنة وما حولها ودخل مع الطرفين في حروب كثيرة تمكن خلالها من تحقيق بعض الانتصارات المهمة عليهم مثل التي حدثت في سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٦م)^(٣)، واستمر السلطان الخوارزمي منشغلا معهم في حروب حتى سنة (٦١٠هـ/١٢١٢م)^(٤)، اما الغوريون الذين كانوا ينافسون السلطان محمد، فقد ازدادوا ضعفا بحيث لم يعد

بإمكانهم الوقوف أمام توسعته، بل وتمكن محمد خوارزمشاه في سنة (٦١٢هـ/١٢١٤م) من السيطرة على غزنة عاصمة الغوريين، ثم فرض سيطرته على جميع خراسان^(٥). وهذه الأحداث والانتصارات مهدت الطريق للسلطان محمد الخوارزمي التوسع غربا باتجاه إقليم الجبال والدخول في صراع مع الخليفة الناصر.

وما إن تفرغ السلطان محمد خوارزمشاه من الخطا والغوريين بدأ بمراسلة دار الخلافة وطلب من الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٦م) السلطنة وإن يخطب له ببغداد وإن يتعامل معه كما كان يفعل مع السلطات السلجوقية في السابق، ويذكر النسوي أن الأسباب من وراء قيام السلطان محمد الخوارزمي بهذا الأمر، هو تمكنه من أعدائه التقليديين في المشرق، وازدياد عدد قواته زيادة كبيرة، وخضوع معظم القوى الصغرى في المنطقة لسيطرته^(٦).

أما فيما يتعلق ببداية العلاقات العسكرية بين الطرفين، فإن المصادر التاريخية لا تشير إلى تاريخها بالتحديد لكنها على ما يبدو أن السلطان محمد الخوارزمي بدأ حملته العسكرية سنة (٦١٢هـ/١٢١٦م) عند إرساله رسوله وهو مجير الدين عمر الخوارزمي إلى دار الخلافة يطلب منهم أن يخطب له في بغداد وإن يصل إلى مرتبة السلطنة في العاصمة العباسية بغداد بقراءة الخطبة باسمه أيام الجمع والمناسبات، وإن يتعامل معه كما كان يتعامل مع السلطان السلجوقي، وكتب السلطان الخوارزمي إلى الخليفة الناصر بذلك بقوله ((كن معي كما كانت الخلفاء قبلك مع السلاطين السلجوقية كالب إرساله وملكشاه... فيكون أمر بغداد والعراق لي، ولا يكون لك إلا الخطبة))^(٧)، إلا أن مطالبه رفضت من قبل دار الخلافة، وختم النسوي إلى ذيول هذه العلاقات بين الطرفين بأن دار الخلافة أرسلت الشيخ شهاب الدين السهروردي^(٨) بصحبة مجير الدين عمر الخوارزمي إلى السلطان محمد خوارزمشاه، غير أن مبعوث الخلافة فشل في مهمته ولم يتمكن من تقريب وجهات النظر بين الطرفين، وبقيت الوحشة قائمة على ساقها^(٩). ولم يشر ابن الأثير ولا الجويني إلى مهمة سفارة السهروردي إلى بلاد الخوارزميين.

وعلى الرغم من فشل محاولة السهروردي الإصلاحية بين السلطان الخوارزمي والخليفة العباسي إلا أنها تدل على جهود العلماء في الدعوة إلى إصلاح ذات البيت، وصيانة الأمة الإسلامية من الفساد، وعلى الرغم من محاولات السهروردي في الإصلاح إلا أن خوارزم شاه تعنت في إتمام الصلح فقد كان مصرا على دخول بغداد^(١٠).

سابق وان اشرنا الى ان المصادر لم تحدد تاريخ هذه التطورات بشكل دقيق بين الخلافة العباسية والخورزمية، ورجحناها بانها تمت في سنة (٦١٢هـ/١٢١٦م)، او قبل سنة (٦١٤هـ/١٢١٨م) ومما يسند رأينا في ذلك لأن السلطان الخوارزمي قد قضى نهائيا على الغوريين في سنة (٦١٢هـ/١٢١٦م) ودخل عاصمتهم غزنة كما سبق واشرنا من قبل، فضلا عن ذلك ان النسوي يذكر ان محمد خوارزمشاه قد ارسل مجير الدين عمر اكثر من مرة في مهمات رسمية الى بغداد طالبا للخطبة والسلطنة، والأهم من ذلك بحسب اشارة النسوي ان السهروردي عاد من مهمته الى بغداد ((واتفق عقيب ذلك قتل الاسماعيلية اغلمش الاتابكي))^(١١).

ويفهم من رواية النسوي ان السبب الرئيسي ان لم يكن الوحيد، لقدم السلطان محمد الخوارزمي الى القيام بهذه الحملة الى الغرب، كي يستعيد اقليم الجبال الى مناطق نفوذ دولته والتي كان يعدها جزءا من اراضي سلطنته التي ورثها من والده والتي فقدها منذ سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م) وهذا ما سنوضحه فيما بعد.

لذا لا بد ان نعلل الاسباب التي ابداهها السلطان محمد خوارزمشاه للسيطرة والتوسع غربا، ويذكر ابن الاثير اسباب عدة وراء حملة السلطان محمد الى اقليم الجبال والتوجه بعدها الى بغداد، فيشير هذا المؤرخ ان السلطان قد تفرغ من الخطا في بلاد ما وراء النهر واصبحت له قوة كبيرة وسلطات واسعة ((وعلا شأنه واطاعه القريب والبعيد))^(١٢) ومنها انه يرغب ان يخطب له في بغداد وان يحصل على لقب السلطنة من الخلافة والأخيرة كانت ترفض، واورد سبب اخر لهذه الحملة ان الخليفة العباسي بتصرفاته تجاه السلطان قد اغضبه وخاصة في موضوع وفد الحجاج الذي يمثل السلطان كان يأمر بان يسير وراء غيره من الوفود الاخرى اذ يقول: ((وكان سبيله (قافلة الحجاج) اذا ورد بغداد ان يقدم غيره عليه))^(١٣). ولعل المؤرخ يشير الى وفد الحجاج الذي يمثل جلال الدين حسن الثالث^(١٤) رئيس الاسماعيلية، اذ اقام هذا علاقات حسنة مع الخليفة الناصر الذي انصرف عن عقيدة الاسماعيلية واتبع مذهب اهل السنة، وهذه العلاقات الحسنة بين الطرفين اغضبت السلطان الخوارزمي. ثم يختم سبباً آخر لمجيء السلطان الى اقليم الجبال وهو مقتل نائبه عليها، اغلمش على يد الاسماعيلية^(١٥).

واذا ما عدنا الى الأسباب او العوامل التي كانت وراء مقتل اغلمش وما اعقبه ذلك من تطورات فاننا نجد بانها لم تكن مجرد فعل عادي من افعال الاسماعيلية، بل ربما هو نتيجة تنسيق بين الخلافة واوزبك والاسماعيلية، ولاسيما اذا ما علمنا ان هذه الاطراف كانت نفسها التي سخرتها الخلافة للقضاء على منكلي سنة

(٦١٢هـ/١٢١٥م) وذلك بعد ان رأى الخليفة الناصر ان اغلمش اصبح يشكل خطراً عليه وعلى حلفائه بتبعيته للخوارزميين، وقد يكون المحرض الرئيس لهذا الاغتيال هو اوزبك انتقاما لخيانة اغلمش له في المنطقة عند اعلان ولائه وتبعيته للسلطان محمد خوارزمشاه.

ويتبين مما سبق ان الأسباب الرئيسية التي دفعت بالسلطان الخوارزمي المسير على رأس حملة عسكرية الى اقليم الجبال ثم التقدم بعدها الى بغداد، هو تمكنه من قضائه على اعدائه التقليديين من الغوريين والخطا والسيطرة على جميع خراسان وبلاد ما وراء النهر، ورفض دار الخلافة لمطالبه بالحصول على امتيازات السلاجقة الملغاة في العراق، والعامل الأهم هو استعادة اقليم الجبال الى سيطرته المباشرة منذ ان فقدها بعد عودة والده الى بلاده. اما مسألة اغتيال نائبه اغلمش من قبل الاسماعيلية، الذي اعلن ولائه للسلطان محمد قبل هذه الحقبة، كانت حجة تذرع بها السلطان الخوارزمي بل وعجل في اتخاذ القرار السريع بالتوجه على رأس حملة عسكرية بهدف استعادة نفوذه في الاقليم والتحرك منها لغزو بغداد.

ومن جهة اخرى كان السلطان محمد خوارزمشاه قد مهد لحملة على بغداد، ان قام بدعاية واسعة النطاق انه عثر في خزائن الغوريين في غزنة بعد سقوطها سنة (٦١٢هـ/١٢١٦م) على مراسلات بين الخليفة الناصر والغوريين وحثهم على مهاجمة الدولة الخوارزمية^(١٦).

وقد ادرك كل من ابن الاثير والنسوي هذه الحقيقة، فيشيران بان السلطان محمد الخوارزمي سار مسرعا من بلاده بعساكر كثيرة لئلا تخرج البلاد من طاعته^(١٧). وعلى اثر مقتل اغلمش في هذه الحقبة نائب السلطان الخوارزمي في اقليم الجبال، تحرك كل من اوزبك حاكم (اذريجان والران) والاتابك سعد بن دكلا حاكم (اقليم فارس) يتسابقان على ضم اراضي اقليم الجبال الى مناطق نفوذهم^(١٨).

وحسب قول النسوي فان الاتابك اوزبك سار مسرعا على رأس حملة عسكرية من اذريجان وسيطر على مدينة اصفهان وتوابعها وباتفاق مع اهالي المدينة وسيطر الاتابك سعد بن دكلا على الري وقزوین وخوار وسمنان مستغلين الفراغ الذي اعقب مقتل اغلمش^(١٩). في حين يذكر ابن الاثير عكس ما ذكر النسوي ان سعد بن دكلا توجه نحو اصفهان وسيطر عليها ومنها سار نحو الري^(٢٠). وقد يكون قول ابن الاثير اكثر صوابا لان مدينة اصفهان كانت اقرب الى مناطق نفوذ سعد بن دكلا من الناحية الجغرافية. الا ان رأي النسوي هو المرجح لانه اخذ معلوماته عن

أحد الرجال المرافقين لحملة أوزبك في اثناء توجه الأخير الى اصفهان وهو الصدر ربيب الدين ابي القاسم بن علي^(٢١) الذي كان وزير لاوزبك^(٢٢).

مهما يكن من امر فان الاتابكين اي اوزبك وسعد بن دكلا قد طمعا في اراضي اقليم الجبال وحاول كل منهما السيطرة على قسم من الاراضي وانهما استغلا الفراغ السياسي التي تعاني منها المنطقة بعد مقتل اغلمش فضلا عما ذكره ابن الاثير في سبب ذلك ((خلوها من حام وممانع))^(٢٣). وذكر النسوي سببا آخر وهو خلو البلاد عمن يحميها فضلا عن بعد السلطان من المنطقة واشتغاله بحروب الترك في بلاد ما وراء النهر^(٢٤).

كان النسوي من المؤرخين الذين انفردوا في سرد المعلومات عن الاستعدادات والترتيبات التي بدأ بها السلطان الخوارزمي قبل خروجه الى اقليم الجبال، فعندما سمع السلطان الخوارزمي محمد بتسابق كل من اوزبك وسعد بن دكلا واستيلائهما على اقليم الجبال، سارع هو الآخر الى اقليم الجبال، وهدفه الاول استعادة نفوذه الضائع في المنطقة، وقد فوجئ الجميع بظهور محمد خوارزمشاه في المنطقة، وقد استطاع بسهولة ان يسترد جميع اراضي اقليم الجبال، واربك الجميع وبعث الرعب فيهم، وتمكن من اسر سعد بن دكلا واهانه، واركبه على بغل ، واين ما سار اخذ معه والاثقال في رجليه، ثم عفا عنه السلطان، واتفق معه على التنازل عن بعض بلاده للسلطان وعاد ابن دكلا الى بلاده وخطب فيها للخوارزميين^(٢٥).

وقدم ابن الاثير معلومات دقيقة عن سير حملة خوارزمشاه وكيفية اخضاع جميع مدن اقليم الجبال ، فبعد سيطرته على الري توجه الى مدينة ساوة، فاستولى عليها واقطعها لعارض جيشه العماد الملك وكان من اهل المدينة نفسها، ثم قصد السلطان بعد ساوة الى قزوين وزنجان وابهر وسيطر على هذه المدن من دون اية مقاومة، وبعدها قصد السلطان مدينة همدان وملكها ثم سار نحو اصفهان وسيطر عليها ومنها قصد مدينة قم^(٢٦) وقاشان^(٢٧) وبهذا احكمت سيطرته على جميع اقليم الجبال دون اية مقاومة^(٢٨). ما عدا مدينة جرياذقان^(٢٩) فائشاء وصول السلطان اليها كانت تحكم من قبل رئيس يقال (جمال باده)، ولا تشير المصادر عن الحقبة الزمنية التي تولى حكم جرياذقان، لكنه على ما يبدو استمر في حكمه لها الى ان وصلها السلطان محمد خوارزمشاه سنة (٦١٤هـ/١٢١٩م)، فبعث الأخير يطلب مقابلته، الا ان هذا الرئيس رفض مقابلة السلطان فبعث اليه عسكره دخلوا المدينة نهبا، فتحصن الرئيس بالقلعة فحاصرها اياما وقتل من الطرفين الكثير فلما اشتد الأمر عليه هرب بالليل من البلدة، فسلم السلطان حكم هذه البلاد الى ابنه ركن الدين

وعماد الملك، فخرّب القلعة وقتل أكثر أهلها لأنهم قتلوا معظم أصحاب عماد الملك واستمرت البلاد بيده الى ان وصلتها جحافل المغول وهذا ما سنوضحه في الصفحات التالية^(٣٠).

اما فيما يتعلق لمصير الاتابك اوزبك فانه ما ان سمع بما حل بمصير سعد بن دكلا، ترك اصفهان عائدا الى بلاده اذربيجان ولم يحاول السلطان الخوارزمي في تعقب اوزبك في بلاده، وطلب الاخير الصلح واستقرت القاعدة بينهم على ان يدخل في طاعة الخوارزميين وان يخطب باسم السلطان محمد خوارزمشاه^(٣١).

بعد سيطرة محمد خوارزمشاه على اقليم الجبال جميعها سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) استقر في همدان وعزم على غزو بغداد، وكانت الاحداث في صالح السلطان الخوارزمي، ولاسيما بعد انضمام كل من اوزبك اتابك اذربيجان وسعد بن دكلا الى جانب الحاكم الخوارزمي، وفك الاثنان ارتباطهما مع الخليفة الناصر، وحاول الخليفة من جهته ايقاف تقدم محمد خوارزمشاه عن بغداد، فأرسل اليه مبعوثه الشيخ شهاب الدين السهروردي الذي قوبل من محمد خوارزمشاه في خيمته بهمدان مقابلة فيها الكثير من الكبرياء، ولم تقلح محاولات مبعوث الخليفة في اقناع الحاكم الخوارزمي بالعدول عن فكرة غزوه العاصمة العباسية^(٣٢).

وعقب فشل سفارة السهروردي، تحرك محمد خوارزمشاه صوب بغداد بعد ان ارسل امامه قوات استطلاعية كبيرة يبلغ تعدادها (١٥) الف فارس بقيادة احد امرائه واقطعه حلوان^(٣٣)، وفي الوقت نفسه استعد الخليفة الناصر لمواجهة هذا الخطر فوزع السلاح على ابناء مدينة بغداد ومنحهم الاموال الكثيرة لتحمل عبء حصار متوقع^(٣٤) ويبدو ان الخليفة الناصر كان يدرك عدم قدرته على مواجهة قوات خوارزمشاه الكثيرة عسكريا، لذا لجأ الى اسلوب اخر وهو تفريق صفوف الجيش الخوارزمي، فراسل فئة معينة منهم في الجيش، تلك هي فئة الخطا، الذين كانوا في السابق اعداء للدولة الخوارزمية، والذين اصبحوا الآن جزءا منها، بعد وقوع بلادهم بيد الخوارزميين سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م) وبلغ عدد الخطا المشاركين في هذه الحملة قرابة سبعين الفا^(٣٥). اذ سارع نائب الوزارة مؤيد الدين القمي^(٣٦) الى مراسلة رجالات من الخطا واغراهم بالاموال والعطايا والخيول، وحرصهم على قتل خوارزمشاه^(٣٧).

ولحسب قول سبط ابن الجوزي ان الخطا دبرو محاولة اغتيال السلطان الخوارزمي، ولكنها باءت بالفشل، اذ كان السلطان قد غادر عسكره في همدان هاربا الى خراسان بعد علمه بالمؤامرة، فكان ذلك عاملا اساسيا في ارباك جيشه واحباط محاولته في غزو بغداد^(٣٨)، فضلا عن ذلك، اشار معظم المؤرخين وفي مقدمتهم

ابن الاثير ان السبب المناخي كان وراء فشل هذه الحملة، وكانت وقتها اذ بدأ فصل الشتاء يحل وهو في طريقه الى بغداد، وبعد مسيرة يومين أو ثلاثة عن همدان هبت عواصف ثلجية على جيشه وهو يعبر احدى المناطق الجبلية عند عقبة اسد اباد^(٣٩)، فأهلك البرد الكثير من رجاله ودوابه، فاضطربت لذلك ساءت احوال الجيش الخوارزمي وتعرض من بقى منهم لغارات الأتراك من بني ترجم والكرد الهكارية ولم يبق منهم الا اليسير^(٤٠).

نتيجة لذلك اضطر محمد خوارزمشاه الى العودة الى بلاده مع البقية الباقية من قواته، وترك في همدان نائبا عنه من اقاربه يدعى الامير (طائيسي)^(٤١) واعطى حكم اقليم الجبال لابنه ركن الدين غورشايجي^(٤٢) وحمل معه احد رجاله البارزين وهو (عماد الملك محمد بن سديد الساوي)^(٤٣) لمساعدته في ادارة شؤون اقليم الجبال^(٤٤).

واذا كان الخليفة العباسي قد تمكن من ابعاد الخطر الخوارزمي عن بغداد من خلال سياسته في ايجاد قوة مناوئة لمحمد خوارزمشاه الذي لم تسنح له الفرصة في العودة ثانية الى تهديد الخليفة العباسي حتى وفاته، فانه من جهة اخرى ان السلطان قد حقق الغرض الاساس الذي دعاه الى السير بحملته العسكرية في الجهة الغربية وهو استعادة اقليم الجبال الى حظيرة مملكته، وبقيت هذه المنطقة تحت سيطرة الخوارزميين حتى وقوعها تحت سيطرة المغول مباشرة.

المبحث الثاني: البدايات الأولى للغزو المغولي على اقليم الجبال وصراعهم مع الخوارزميين (٦١٥-٦١٧هـ/١٢١٨-١٢٢٠).

في الوقت الذي ساد الهدوء والاستقرار في اقليم الجبال، ولو بشكل نسبي، عقب حملة محمد خوارزمشاه على المنطقة سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م)، والذي تمكن من بسط حكمه المباشر على الاقليم، لكنه فشل في السيطرة على عاصمة الخلافة العباسية وعاد الحاكم الخوارزمي الى بلاده وكان ذلك في سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) وصادف في ذلك الوقت نفسه حافل المغول بقيادة جنكيزخان قد بدأت تدك وتدمر بقوة مروعة الأجزاء الشرقية من العالم الاسلامي.

ولم يكن غزو المغول للأمم الاخرى حدثا عاديا ولا هجرة طبيعية من الهجرات التي عرفها تاريخ الانسان، بل كان اعصارا مدمرا ابتليت به البشرية عامة والمسلمون بشكل خاص^(٤٥). وخير من عالج من المؤرخين أحداث المغول وما حل بالعالم الاسلامي في ذلك الوقت من التدمير والتقتيل والتغريب ابن الاثير، الذي كان معاصرا لغزوات المغول الأولى، وبلغ من استعظام ما ارتكبه اولئك الغزاة من

الاعمال الوحشية، حتى كاد ان يمتنع هذا المؤرخ عن تسجيل احداثها لسنوات عدة لما فيها من احداث مؤلمة وقاسية وقد اشار بقوله: ((لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها، فأنا أقدم رجلا واوخر رجلا، فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فياليت امي لم تلدني، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا))^(٤٦).

وقد عبر السيوطي عن هذه المأساة وما عانى منه المسلمون من الازى على ايدي المغول اذ يقول: ((هو حديث يأكل الاحاديث، وخبر يطوي الاخبار، وتاريخ ينسى التواريخ ونازلة تصغر كل نازلة، وفادحة تطبق الارض وتملؤها ما بين الطول والعرض))^(٤٧).

ولا ندخل هنا في تفاصيل غزوات المغول على بلاد المسلمين في بلاد ما وراء النهر وخوارزم وانما يهمنا شرح اسباب الصراع ولو بشكل مختصر بين المغول والسلطان الخوارزمي محمد خوارزمشاه الذي اشعل فتيل الحرب وهرب امامهم، ووصل الى اقليم الجبال فكان ذلك بداية لوصول غارات المغول لمدن الاقليم.

فبعد ان تمكن جنكيزخان من السيطرة على امبراطورية الصين ودخل عاصمتها بكين سنة (٦١٢هـ / ١٢١٥م)، كان عليه ان يتفرغ لمطاردة اعدائه الاخرين في الجبهة الغربية من دولته، ومن هؤلاء الاعداء كشلوخان زعيم قبيلة النايمان، الذي تمكن من بسط سيطرته على بلاد القره ختائين، ولكن المغول انهوا حكمه وتخلصوا منه سنة (٦١٨هـ / ١٢٢١م) وصارت بلاد الخطا ضمن مناطق نفوذ المغول^(٤٨). ونتيجة ذلك جاورت املاك جنكيزخان حدود الدولة الخوارزمية وكان الاصطدام متوقعا بين الطرفين في كل لحظة ما دامت اسبابه ودوافعه متوفرة عندهما والمتمثلة في مطامح جنكيزخان ورغبته في التوسع^(٤٩).

وعلى ما يبدو فان اغلب المؤرخين والباحثين يتفقون على ان السبب المباشر للحرب بين المغول والدولة الخوارزمية هو مذبة اترار^(٥٠) التي راح ضحيتها جميع التجار الذين وردوا من بلاط جنكيزخان وقتلوا بيد حاكم مدينة اترار (ينال خان) سنة (٦١٥هـ / ١٢١٨م)^(٥١). وقد علق على هذه الواقعة مؤرخ المغول عطا ملك الجويني بقوله ((ان كل قطرة من دماء هولاء التجار قد كفر عنها المسلمون بسيل من الدماء، كما كلفتهم كل شعرة من رؤوسهم مائة الف من ارواحهم))^(٥٢). وبعد مقتل تجار المغول في اترار جهز جنكيزخان جيوشه وتوجه نحو الغرب واستغرقت حملته اربع سنوات بدأها باترار سنة (٦١٦هـ / ١٢١٩م)، تمكن خلال هذه الحقبة من

اكتساح اراضي الدولة الخوارزمية جميعها وعاد الى بلاده في سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م)^(٥٣).

وبقدر تعلق الامر بموضوع هذا المبحث فان جنكيزخان عند خروجه على راس هذه الحملة فانه سار بنفسه الى كبرى مدن بلاد ما وراء النهر وتمكن من سيطرته على بخارى سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) وبعدها تقدم نحو مدينة سمرقند العاصمة الثانية لمحمد خوارزمشاه، والتي سقطت ايضا في سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م)^(٥٤)، وتمكن جوجي ابن جنكيزخان من السيطرة على مدينة خجندة الواقعة على نهر سيحون^(٥٥)، وبسقوط هاتين المدينتين تمكن جنكيزخان من السيطرة على بلاد ما وراء النهر جميعها وانفتحت امامه ابواب خراسان وبقية الولايات الغربية.

كان جنكيزخان يدرك ان بقاء محمد خوارزمشاه سيقف عائقا بينه وبين السيطرة على البلاد وسيزيد من مشاكله، فأثناء وصوله الى سمرقند ارسل جيشين لملاحقة محمد خوارزمشاه، يتكون كل منهما من عشرة الاف فارس ويقودهما قائدان من امهر قواده يدعى احدهما (شبي) والثاني (سوبوتاي). سمى ابن الاثير هذه الفرق من الجيش المغولي بفرقة المغاربة لأنهم ساروا الى غرب خراسان^(٥٦).

اما فيما يتعلق لموقف محمد خوارزمشاه للغزو المغولي، فانه لما سمع بقدوم جيش جنكيزخان الى حدود دولته، استشار احد الفقهاء المقربين له يدعى الشهاب الخيوفي^(٥٧)، فاشار عليه بخطة وهي جمع قواته جميعها والتصدي لهم عند نهر سيحون، لكنه اخذ برأي مستشاريه الاخرين بصدد ذلك فاشاروا عليه برأي آخر، وبينما هم في الاستشارة اذ ورد عليهم رسول جنكيزخان يتهدهم، فردوا عليه بجواب الاستعداد للحرب^(٥٨).

وفي النهاية قرر السلطان على عدم مجابهة المغول مباشرة والدخول معهم في معركة واحدة، بل عمد الى تشتيت قواته فوزعها على المدن لتحميها بينما هو انسحب الى داخل البلاد هاربا معلنا عزمه على جمع الجيوش والعودة لانجادهما، واستمر محمد خوارزمشاه في التنقل بين المدن هاربا بعد وصوله خبر سقوط مدينة بخارى، وفي الوقت نفسه كان القائدان المغوليان يلاحقانه اينما يسير للقبض عليه^(٥٩)، ثم عبر السلطان نهر جيحون تاركا بلاد ما وراء النهر خلفه كما يقول النسوي ((فعبر جيحون يائسا، وعن بلاد ما وراء النهر آيسا))^(٦٠)، ودخل اراضي اقليم خراسان، وعند مدينة بلخ، التقى بوزير ابنه ركن الدين، (عماد الدين محمد بن سديد الساوي) الذي استطاع ان يقنع السلطان الخوارزمي بالانسحاب من خراسان والتوجه معه نحو اقليم الجبال وفيها الكثير من العساكر والاموال ما يمكن ان يسد

حاجته في مجابهة المغول او على الاقل اعادة تنظيم صفوفه، فوافق محمد خوارزمشاه على اقتراح السايي وقرر التوجه نحو اقليم الجبال^(٦١).

وحسب قول النسوي يتضح ان السايي كان يهدف من وراء تغيير وجهة محمد خوارزمشاه نحو اقليم الجبال كي يعود هو ثانية الى موطنه الاصلي في هذا الاقليم لان هو من مدينة ساوة^(٦٢)، بعد ان نفاه ركن الدين بحجة ان يقف مع والده في هذه الظروف العصيبة الذي كان فيه^(٦٣)، وقد كان السايي يتدخل في شؤون ركن الدين، بل كان هو المسيطر على البلاد ويدبر الامور حسب رغبته، وبهذا تحايل على السلطان وقبل مشورته ويقول النسوي بصدد ذلك ((أحاديث زور، واخابير غرور، كسراب بقيعه يحسبه الضمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً))^(٦٤).

وبعد موافقة السلطان الخوارزمي المسير نحو اقليم الجبال، سار أولاً الى مدينة نيسابور، احدى مدن خراسان، وبعد ان قضى هناك بعض الوقت، علم ان المغول قد عبرو نهر جيحون وانهم يجدون في البحث عنه، لذا قرر مغادرة نيسابور، ثم اتخذ طريقه نحو مدينة بسطام^(٦٥) ومن هناك كلف احد رجاله بايصال عشرة صناديق مملوءة بالنفائس والمجوهرات لكي يحفظها في قلعة اردهن (من اعمال الري) الا ان هذه النفائس سرعان ما وقعت بعد انتهاء امر خوارزمشاه بايدي المغول وتم ارسالها الى جنكيزخان^(٦٦).

سار السلطان الخوارزمي من بسطام الى الري ومنها الى قلعة فرزين (احدى قلاع الكرج ضمن حدود همدان) اذ كان ابنه ركن الدين في انتظاره وسط جيش قوامه ثلاثون الف فارس. وفي هذا الموقع كان خوارزمشاه يستطيع بجيشه وامدادات ابنه وامرائه الآخرين ان يواجه جنود القائدين المغوليين شبي وسوبوتاي ويسترد ماء وجهه ولكن الخوف والهلع قد غلب عليه، ولم ينتهز تلك الفرصة، لكي يصد تقدم المغول السريع ان لم يستطع ان يهزمهم^(٦٧).

وفي اثناء تواجد محمد خوارزمشاه في قلعة فرزين ارسل حريمه مع ابنه غياث الدين بيرشاه^(٦٨) الى قلعة قارون^(٦٩) وكان تاج الدين طغان قائدا لها، ثم اوفد السلطان رسولا الى امير اللور (نصرة الدين هزار سب)^(٧٠) يستدعيه. وفي تلك المنطقة سعى امراء اقليم الجبال الآخرين الذين جاؤا الى خوارزمشاه في اقناعه لملاقاة المغول على سفوح جبال (شيران-كوه=اشتران)^(٧١) بدعوى ان هذه المنطقة لا تصلح للمقاومة والدفاع ولكنه لم يقتنع ببرايمهم، فتألم امراء اقليم الجبال كثيرا لما رفض السلطان اقتراحهم. وحين وصل امير اللور (نصرة الدين هزارسب)، دعا السلطان الى اللجوء الى احد المعابر الضيقة للجبال الواقعة بين اقليم فارس

ولورستان يدعى (تتك كو) وقال له ان يستطيع ان يحشد ما يقرب من مائة الف مقاتل من ولايات فارس والور والشوانكاره^(٧٢) يمكن بهم سد الطرق على جيش المغول وايقاع الهزيمة بهم، الا ان السلطان رفض هذا الاقتراح من جانب امير الور (نصرة الدين)، بزعم ان الاخير يريد ان ينتهز الفرصة ليتخلص من خصمه اتابك اقليم فارس، فعاد نصرة الدين حزينا الى مملكته، وظل خوارزمشاه يبحث عن مخرج الى ان بلغه نبأ وصول المغول الى الري وتخريبهم لها وقتلهم لأهلها^(٧٣).

وكان جيش المغول قد وصلوا الى الري من جهتين، فوصلت قوات (سوبوتايفي) الى الري عن طريق دامغان^(٧٤) وسمنان^(٧٥)، بينما اختار شي طريق مازندران، واثاء وجود المغول في الري سمعوا ان خوارزمشاه غادر همدان في طريقه الى مازندران، لذا فقد اسرعوا نحو همدان بعد الاغارة على الري وتدميرها، وكانوا يدمرون القرى ويقتلون الاهالي في طريقهم، استمر المغول في ملاحقة السلطان محمد، فعثروا بالقرب من دولة آباد من اعمال همدان على اقرباء السلطان وقتلوا منهم الكثير، كما قتلوا اكثر من عشرين الف جندي الذين كانوا مع السلطان، وكثيرا من الأمراء واركان الدولة ومن بينهم عماد الملك محمد بن السديد الساوي وزير ابنه ركن الدين، ولما لم يكن المغول يعرفونه فقد نجا السلطان مع قلة من اصحابه^(٧٦) وتوجهوا نحو قلعة قارون، وفكر في الهرب الى بغداد رغم ما بينه وبين الخليفة من عدا، الا ان المغول هبطوا عليه بشكل مفاجئ، فغادر السلطان قلعة قارون قبل ان يحاصرها المغول، ولجأ الى قلعة سرجهان^(٧٧) القريبة من قزوین، وبعد مدة من حصارهم لقلعة قارون، علموا ان السلطان قد غادرها في طريقه الى بغداد، فتعقبوه لعدة ايام، ولكن لما كانوا قد فقدوا اثره فقد عادوا من منتصف الطريق^(٧٨).

وكان السلطان قد اقام سبعة ايام في قلعة سرجان، هذا ما ذكره الجويني ثم تركها وذهب الى (جیلان-کیلان)^(٧٩) ومنها الى (امل)^(٨٠) اذ احتفى به امرأ مازندران، ثم جاءت الاخبار الى السلطان وهو في مازندران، ان المغول قد اقتربوا منه فتركها وركب على سفينة واتجه صوب جزيرة ابكسون في بحر قزوین، وحاول المغول اللحاق به فلم يظفروا به، وفي هذه الجزيرة اصيب بمرض واشتد به يوما بعد يوم، وبعد ان قضى السلطان شهرا في هذه الجزيرة توفي فيها سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) ودفن بها^(٨١).

لم تتوفر لدينا أية معلومات عن مرور السلطان بمدينة همدان سوى ما ذكره ابن الاثير بانه اخذ معلوماته من التجار الذين كانوا قد رأوه في همدان^(٨٢)، وكذلك النسوي يشير بانه حدثت في همدان معركة بين السلطان محمد خوارزمشاه والمغول

بمرج دولت آباد بالقرب من همدان، الا ان المعلومات عن تحركات المغول انفسهم فيها ليست بالغة الوضوح^(٨٣).

اما عن القائدين شبي وسوبوتاوي اللذين كانا يلاحقان السلطان الخوارزمي، فانهما استوليا على الاقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية اثناء مطاردتهما للسلطان، وكذلك استولى هذان القائدان على مازندران جنوبي بحر قزوين سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م). وبعد سيطرة المغول على هذا الجزء من الدولة الخوارزمية سلكوا طريق الري، وفي الطريق عثروا صدفة على ترکان خاتون والدة السلطان، التي تركت خوارزم وقصدت نحو الري لتصل الى اصفهان وهمدان والتي ارادت ان تعتصم في اقليم الجبال، فأسروها ووضعوا ايديهم على ما معها من النفائس والكنوز والمجوهرات وبعثوا بهذا كله مع اسيرتهم الى جنكيزخان^(٨٤).

كان وصول المغول الى مدينة الري في سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م) وكانت اوضاع المدينة الداخلية غير مستقرة مما ساعد المغول في الاستيلاء على الري. و كان هناك اختلاف بين المذاهب الاسلامية الاربعة في تفسير بعض نصوص القرآن، وانضم اصحاب المذهبين الشافعي والحنفي بعضهما الى بعض ووقفوا في مواجهة اصحاب المذهبين الاخرين، وقد اراد قاضي القضاة الشافعي ان ينتقم من خصومه، ففتح بابين من ابواب المدينة للمغول فدخلوها، وقتلوا اعداء قاضي القضاة الذين كانوا يتألفون من نصف عدد سكان المدينة، فلما فرغوا من مهمتهم تحولوا الى اصحاب المذهبين المناصرين لهم، فقتلوه جميعا بعد ان اعلنوا انهم لا يستطيعون التعاون مع من خانوا اخوانهم في الدين^(٨٥).

ويذكر ابن الاثير انهم تمكنوا من المدينة لأنهم وصلوا اليها على غفلة من اهلها ولم يشعروا بهم الا وقد احاطوا بالمدينة من كل جهاتها، وبعد سيطرة المغول على الري ساروا نحو همدان، فلما اقتربوا منها خرج رئيسها يعرض عليهم الصلح وحملهم بالهدايا النفيسة من الاموال والثياب والدواب وغير ذلك، فأمنت المدينة من التدمير^(٨٦). ثم تركوا همدان وساروا نحو زنجان^(٨٧) وبعد ان نهبوا المدينة اتجه المغول الى مدينة قزوين، حيث اعتصم الاهالي في مدينتهم، ودافعوا عن انفسهم، وقاومت المغول اشد مقاومة، الا انهم تمكنوا من دخول المدينة عنوة وجرى قتال عنيف بين اهالي المدينة والمغول في الطرقات، وقد قتل عدد كبير من الطرفين، على ان عدد القتلى من اهل المدينة زاد على اربعين الفا^(٨٨).

على اية حال تمكن المغول من السيطرة على اقليم الجبال بعد ان استولوا على اهم مدنه، وعلى الرغم من ان هذين القائدان لم يهتما اول الامر بالاستيلاء على بعض

المدن او انهم كانوا مكلفين فقط بالقضاء على السلطان محمد خوارزمشاه، الا ان حالة الخوف التي استولت على نفوس القوات المرابطة في هذه الجهات سهلت للمغول الاستيلاء على مدن الاقليم الواحدة تلو الاخرى، وقد حل الدمار في اقليم الجبال جراء هذا الغزو، وقتل من سكانها الكثيرين ولاسيما في الري وهمدان وقزوین، ومع ذلك لو قارنا الدمار والخراب الذي حل باقليم الجبال كان اقل بكثير مما حل بباقي اقاليم الدولة الخوارزمية كأقليم ما وراء النهر او اقليم خراسان، وقد يرجع ذلك الى قلة عدد الجيوش المرسلة الى مدن اقليم الجبال هذا من ناحية، او ان القائدين المغوليين (شبي) و(سوبوتاي) كانت مهمتهما القبض على السلطان الخوارزمي من ناحية اخرى. فضلا عن ذلك ان اغلب مدن الاقليم لم يقاوموا القوات المغولية في اثناء غاراتهم ما عدا مدينة قزوین.

مهما يكن من امر فهناك غموض يكتنف اوضاع اقليم الجبال بعد اخضاعها للسيطرة المغولية المباشرة، خاصة من الناحية الادارية، وهي هل انهم عينوا نوابا لهم على المدن الرئيسية ام تركوا ادارة هذه المدن بيد اعوانهم من ابناء هذه المدن، فالمصادر لا تشير الى ذلك سوى ما تطرق اليه ابن الاثير ان المغول كان لهم شحنة في مدينة همدان^(٨٩)، وعلى ما يبدو ان المغول تركوا البلاد على حالها وانسحبوا بقواتهم الى الاقاليم المجاورة مثل اذربيجان وبلاد الكرج^(٩٠)، وبعد انسحابهم من المنطقة عادت بقايا القوات الخوارزمية بقيادة ركن الدين غورشايجي الذي سبق ان ذكرنا بانه كان متوليا امر اقليم الجبال من قبل والده محمد خوارزمشاه.

لم تشر المصادر التاريخية الى اوضاع اقليم الجبال بعد وفاة محمد خوارزمشاه، ويكاد يكون المؤرخ النسوي القريب من الخوارزميين، قد انفرد بذكر المعلومات عن تلك الحقبة، فيشير المؤرخ المذكور ان ركن الدين بن محمد خوارزمشاه، الذي سبق ان ولاه والده على الاقسام الغربية من مملكته، فعند قدوم والده هاربا من المغول الى الاقليم، اتصل بوالده حينذاك، غير انه لما هرب والده امام جحافل المغول منسحبا الى جزيرة ابكسون، انسحب في الوقت نفسه ابنه ركن الدين الى اقليم كرمان واقام بها حوالي تسعة اشهر سيطر في اثناء ذلك على مقاليد الحكم فيها^(٩١).

وفي اثناء وجود ركن الدين في اقليم كرمان، جاءت الاخبار بان الاوضاع في مدن الاقليم الرئيسية غير مستقرة بعد انسحاب القوات المغولية منها، اذ حاول احد الامراء وهو جمال الدين محمد آي آبه^(٩٢) السيطرة على اقليم الجبال بمساعدة عدد من الامراء امثال صاحب قزوین مظفر الدين باردكر وقاضي اصفهان مسعود بن

صاعد^(٩٣)، واتصل جمال الدين ايضا قبل هذه المدة بقوات من الاتراك في همدان سماها النسوي (الاتراك العراقية) واعلنوا ولاءهم لجمال الدين ضد ركن الدين^(٩٤).

عندئذ قرر ركن الدين التوجه الى اقليم الجبال لاستعادة سلطة الخوارزميين في المنطقة، فسار على رأس قواته باتجاه مدينة اصفهان، وانضم اليه في اثناء ذلك احد رؤساء المدينة يدعى صدر الدين الخجندي^(٩٥) فبعد وصولهم الى اصفهان، قصدوا محلة القاضي (جوباره) وتمكن من السيطرة على زمام الامور فيها، بعد هروب القاضي الى اقليم فارس طالبا الأمان من حاكمها سعد بن دكلا^(٩٦).

ومن جهة اخرى نجد ركن الدين بعد تمكنه من السيطرة على اصفهان سار باتجاه همدان للسيطرة عليها، واخراج أي آبه منها، الا ان تفرق قواته في داخل اصفهان وقيامهم باعمال السلب والنهب والسفك بحق اهالي المدينة حال دون ذلك، وغير مسار ما خطط له ركن الدين، بوقوف اهالي مدينة اصفهان في وجه قواته، الامر الذي ادى الى اضعاف موقف ركن الدين، ولم يستطع بذلك التوجه الى همدان، فارسل قوة عسكرية بقيادة ابن خاله (قرسي بك) ومجموعة اخرى من الامراء، لمواجهة جمال الدين، فجرت بذلك الرياح بما لا تشتهي السفن، اذ غدر اصحابه به وانضموا الى صفوف جمال الدين^(٩٧).

ونتيجة لذلك سار ركن الدين الى مدينة الري، فلم يكن وضعها افضل من وضع باقي مدن اقليم الجبال، وجد فيها طائفة من دعاة الاسماعيلية يدعون اهلها الى الانضمام اليهم والدخول في طاعة حكام الموت^(٩٨)، غير ان ركن الدين تمكن من قتلهم، الا انه في نفس الوقت تقدمت قوات مغولية باتجاه الاقليم بهدف الاغارة ثانية، فهرب على اثر ذلك ركن الدين منها ايضا، وقصد مدينة فيروزكوه^(٩٩) وتحصن بقلعتها (آستون آوند) فاحاط بها المغول وحاصروه الى ان تمكنوا من الدخول اليها، و ان اصحابه كانوا قد تفرقوا عنه في ذلك الوقت العصيب مما سهل على المغول قتله^(١٠٠) ويذكر القزويني بأن سبب قتله رفضه الركوع امام المغول اي انه فضل الموت على ان يذل نفسه امام المغول ويركع امام اقدمهم^(١٠١).

ولما وصلت الاخبار الى جمال الدين ومن معه من الأمراء بمقتل ركن الدين، ارسل من همدان رسالة الى المغول اعلن فيها طاعته، وولاءه لهم، فسيروا اليه المغول خلة تترية فلبسها مجاهرا، عندئذ توجه المغول صوب همدان وارسلوا اليه يقولون ((ان كنت صادقا فلا بد من الحضور على ابواب همدان))^(١٠٢) لكي يبرهن اخلاصه لهم فقصدهم جمال الدين الا ان المغول غدروا به وقتلوه وقتلوا من معه من امراء اقليم الجبال، ثم دخل المغول همدان ثانية والتقوا برئيسها علاء الدولة

الشريف العلوي، وكان ابن آي آبه قد بالغ في ايثائه فاعلن المذكور حسن الطاعة للمغول فقلدوه امر همدان^(١٠٣).

مهما يكن من امر فان الاوضاع لم تستقر في اقليم الجبال، ففي بداية سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م) توجه المغول للمرة الثالثة الى همدان واستغلوا خلو المنطقة من القوات المربطة بها، فضلا عن تفرق الجيوش الاسلامية التي كانت قد تجمعت تحت قيادة مظفر الدين كوكبري (٥٨٦-٦٣٠هـ/١١٩٠-١٢٣٣م)، في داقوقا^(١٠٤) والتي اعتذر فيها للخليفة العباسي الناصر عن المسير لملاقاة المغول في تلك المناطق لقلّة عدد جنده، ولما علم المغول بعدم تحرك الجيوش الاسلامية المؤلفة من قوات اربل والموصل والجزيرة، رحلوا الى اقليم الجبال ونزلوا بالقرب من همدان^(١٠٥)، وطلبوا من شحنتها هناك الاموال والثياب ولما اعتذر اهلها لطلب المغول، حاول رئيس همدان العلوي معالجة الأمور بشكل سلمي، الا ان الاهالي رفضوا مقترح رئيس همدان بدفع الاموال لهم، واتفقوا جميعا على محاربة المغول وقتلوا شحنتها، وعلى اثر ذلك هاجم المغول المدينة وجرى قتال عنيف بين الطرفين ادى الى مقتل عدد كبير من الجانبيين، وهرب رئيس همدان بشكل سري، وتمكن بعدها القوات المغولية من الدخول الى المدينة، وتجدد القتال بين الطرفين في الطرقات والدروب الضيقة، واستعملت السكاكين فيها، الا ان المغول تمكنوا في النهاية من الاستيلاء على المدينة بأكملها، ثم رحلوا عنها الى اردبيل، بعد ان اضمروا النار في همدان واحرقوها^(١٠٦). ويذكر ابن الاثير رواية اخرى من دون التعليق عليها بان سبب توجه المغول الى همدان ان اهل المدينة شكوا الى رئيسها العلوي ما يفعلوه المغول بهم، فاشار عليهم بمراسلة الخليفة الناصر ليرسل العساكر لنجدهم واميرا يقودهم، الا ان المغول علموا عن طريق جواسيسهم بمراسلة اهل همدان للخليفة، وظفر بالكتب الموجهة الى بغداد، وحققوا مع رئيس همدان بشأن هذه المراسلة، مما دفع بهم التوغل الى المدينة والاستيلاء عليها^(١٠٧).

من كل ما سبق يتبين ان الأوضاع الداخلية في اقليم لجبال بعد وفاة محمد خوارزمشاه ومجئ المغول اليها، والخروج منها، جعل منها منطقة غير مستقرة وغير آمنة، والفوضى قد عمت البلاد، وتخلصت البلاد من حكم الخورازميين ولو بشكل مؤقت واصبحت كبرى مدن الاقليم بيد مجموعة من الامراء المحليين الذين كان ولاءهم دائما للاقوى، وحسب اهواءهم الشخصية، دون مراعاة لحرمة المنطقة وحرمة اهالي البلاد.

قضى المغول الحقبة التالية متنقلين بين المدن الاسلامية المختلفة في اقليم الجبال واذربيجان واران والكرج، مدمرين مخربين ما بقي من مدنها، حاملين ما يستطيعون حمله من خيراتها، ثم عبر (شبي) و (سوبوتايي) المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الاسود الى بلاد القفجاق وروسيا، وسار المغول بقيادة هذين القائدين الى بلغاريا وأوصلوا الرعب الى اقصى حدود (اوريا)^(١٠٨).

الخاتمة :

١- اوضحت هذه الدراسة الاهداف الحقيقة لحملة السلطان محمد خوارزمشاه على اقليم الجبال، ولم يكن مقتل نائبه (اغلمش) السبب وراء حملته، انما انهاء مشاكله الداخلية والقضاء على اعدائه التقليديين من (الغوريين والخطائين) وحبه للتوسع غربا مما دفع بالسلطان الى تسيير هذه الحملة .

٢- سعى الخليفة الناصر بكل ما عهد عنه من دربة سياسية الى مواجهة الخطر الخوارزمي، فحاول اولا ارسال مبعوثه الخاص للتفاوض آملا على كسب الوقت لتكوين جبهة جديدة مناوئة للسلطان الخوارزمي، وبعد فشله في هذا المسعى عمل على تقويت القوة المعادية وذلك باثارة العداوات في صفوف الاعداء .

٣- وظهرت هذه الدراسة ان هجمات المغول في هذه المرحلة كانت مجرد غارات عشوائية الهدف منها ارهاب الناس وجمع الاموال فقط، ولم يكن طموحهم في ذلك الوقت توسيع مناطق نفوذهم في داخل اقليم الجبال والسيطرة الدائمة على البلاد بقدر ما كان هدفهم الاساسي القضاء على محمد خوارزمشاه.

٤- نتيجة للفوضى التي سادت مدن وبلدات اقليم الجبال من ضمنها مدينة الري، اثر دخول المغول اليها، فقد تفاقم الصراعات المذهبية واستغل المغول تلك الصراعات محاولين التقرب من اصحاب المذاهبين الشافعي والحنفي ضد المذاهب الاخرى، ومن ثم انقلبوا على الجميع بعد ان حققوا مآربهم.

٥- احدث الغزو المغولي على اقليم الجبال دمارا شاملا للمنشآت الدينية والمؤسسات العلمية، وحدثوا تغييرات في الهيكل العمراني للمنشآت الاقتصادية والبنية الاجتماعية الامر الذي ادى الى جر البلاد الى الهاوية.

قائمة المصادر والمراجع:

(١) اطلق الجغرافيون المسلمون هذه التسمية عليه لكثرة الجبال التي تكتنف معظم اراضيه؛ الذهبي، دول الاسلام، تحقيق حسن اسماعيل مروة، (بيروت: ٢٠٠٦)، ج ٢، ص ٨٧.
(٢) نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية نشأتها علاقاتها مع الدول الاسلامية نظمها العسكرية والادارية، (بغداد: ١٩٧٨)، ص ٩١؛ احمد مختار العبادي، المغول والحضارة الاسلامية، (الاسكندرية: ٢٠١٠)، ص ٩٣.

- (٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيحا، (بيروت: ٢٠٠٢)، ج ٩، ص ٦٠٣-٦٠٤؛ عفاف سيد صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، (القاهرة: ١٩٨٧)، ص ١٣٦.
- (٤) بارتولد، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، (الكويت: ١٩٨١)، ص ٥٣٣-٥٣٤.
- (٥) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٤٣-٦٤٤.
- (٦) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق حافظ احمد حمدي، (القاهرة: ١٩٥٣)، ص ٥١-٥٢.
- (٧) السبكي، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطنناجي، (القاهرة: ١٩١٨)، ج ١، ص ٣٣٠.
- (٨) السهروردي: هو شهاب الدين ابو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله البكري، ولد سنة (٥٣٩/١١٤٣م) بسهرورد، قدم بغداد، وسمع الحديث النبوي من هبة الله الشبلي، وصحب عمه ابا النجيب عبد القاهر، واخذ عنه التصوف، وتفق في البصرة على الشيخ ابي محمد بن عبد وغيرهم، وانتهت اليه مشيخة العراق، وله عدة مؤلفات منها (عوارف المعارف) في التصوف، وتمتع بثقة الحليفة العباسي الناصر وارسله مرارا كمبعوث خاص له في المهمات السياسية الى عدة جهات، توفي في بغداد سنة (٦٣٢/١٢٣٦م) للمزيد عنه. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، (بيروت: ١٩٧٠)، ج ٣، ص ٤٤٦؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢١٣.
- (٩) سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٢؛ تفاصيل تلك السفارة ينظر ايضا الذهبي، العبر في خبر من عبر، تحقيق حسن اسماعيل مروه ومحمود الارناؤوط، (بيروت: ٢٠٠٦)، ج ٣، ص ١٦٠؛ ابو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المعروف بالذيل على الروضتين)، تحقيق ابراهيم شمس الدين، (بيروت: ٢٠٠٢)، ج ٥، ص ١٠١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت: ١٩٩٢)، ج ٦، ص ١٩٣-١٩٨.
- (١٠) عبد الله بن فراج بن صالح الشهري، دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الاسلامي ضد المغول، كلية الشريعة، جامعة ام القرى، (مصر: د/ت)، ص ٥٩.
- (١١) سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٢.
- (١٢) الكامل، ج ٩، ص ٤٤٩.
- (١٣) المصدر نفسه.
- (١٤) جلال الدين حسن الثالث: وهو من اولاد الحسن بن الصباح صاحب الموت وكردكوه، كان مقدم الاسماعيلية، وجلال الدين هذا كان سيد الموت السادس، ولد سنة (٦٠٧/١٢١٠م) وتوفي سنة (٦١٨/١٢٢١م). للمزيد عنه ينظر: ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٧١٥؛ فرهاد دفتري، الاسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط، (بيروت: ٢٠٠٨)، ص ١٣٥؛ برنارد لويس، الحشيشية الاغتيال الطقوسي عند الاسماعيلية النزارية، ترجمة سهيل زكار، (بيروت: ٢٠٠٦)، ص ٢٤٠ وما بعدها.
- (١٥) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٤٤٩.
- (١٦) عبود، الدولة الخوارزمية، ص ٩٨.
- (١٧) الكامل، ج ٩، ص ٤٤٩؛ سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٣.
- (١٨) الكامل، ج ٩، ص ٤٤٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر)، (بيروت: ١٩٦٨)، ج ٦، ص ١٠٩٩؛ الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكرو محمد عبد المنعم، (بغداد: ١٩٧٥)، ج ٢، ص ٣٥٥.
- (١٩) سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٣.
- (٢٠) الكامل، ج ٩، ص ٤٤٩، ينظر كذلك الغساني، العسجد المسبوك، ج ٢، ص ٣٥٥.
- (٢١) ربيب الدين: هو ابو القاسم بن علي المعروف (بدندان)، كان وزير لحاكم اذربيجان اوزبك بن البهلوان واثنى عليه النسوي قائلا: ((وكان من اكابر الزمان ومن اشاب نواحي الايام في تقلد اشغال الديوان))، وبعد سيطرة جلال الدين منكبرتي على اذربيجان واراد اختار العزلة وجعل بيته مدرسة، وتفرغ بقية حياته للعبادة والطاعة. للمزيد عن دوره الاحداث السياسية. ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٣٧، ص ٥٤.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ٥٥.
- (٢٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٤٤٩.
- (٢٤) سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٣.
- (٢٥) الا ان السلطان لم يفي بعهده مع الاتابك سعد بن دكلا وبعد ان اعطاه الامان وزوجه من امرأة من اهل بيت والدته تركان خاتون وشرط عليه ان يحمل عليه ثلث الخراج سنويا الا انه حين وصل الى قاعدة ملكه منعه ابنه ابو بكر، ورفض ان يسلم الملك اليه، وجمع جنوده وجابه اياه عسكريا، الا ان الجنود انحازوا الى

- ابيه سعد وتركوا ابنه لذلك هزم الابن ودخل سعد البلاد وامتلكها ومع ذلك فان السلطان علاء الدين محمد ما لبث ان غدر بالامير سعد وقتله. ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٣.
- (٢٦) قم: وهي من مدن اقليم الجبال الشرقية، بينها وبين قاشان مرحلتان، وهي مدينة مستحدثة اسلامية لا اثر للاعاجم فيها، وهي مدينة عليها سور، وخصبة وشرب اهلها من ابارها وجميع اهلها شيعة والغالب عليهم العرب ولسانهم الفارسية. للمزيد عنها ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: ١٩٥٧)، ج ٤، ص ٣٩٧-٣٩٨؛ الاضطري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، (القاهرة: ٢٠٠٤)، ص ١١٨-١١٩؛ ابن حوقل، صورة الارض، (القاهرة: د/ت)، ص ٣٧٠.
- (٢٧) قاشان: تقع الى الجنوب من مدينة قم، بالقرب من اصفهان، وهي مدينة صغيرة بناؤها من الطين، واهلها من الشيعة الامامية وينسب اليها طائفة كبيرة من اهل العلم. للمزيد ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ الاضطري، المسالك والممالك، ص ١١٩؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص ٣٧٠.
- (٢٨) الكامل، ج ٩، ص ٤٤٩؛ ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ١٠٩٩.
- (٢٩) جرباذقان: وهي مدينة كبيرة، تقع بالقرب من همدان بينها وبين الكرج واصبهان. للمزيد عنها ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٨.
- (٣٠) القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، (د/م: ٢٠١١)، ص ٣٤٨.
- (٣١) المصدر نفسه؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق احمد عبد القادر الشاذلي، (ابو ظبي: ٢٠٠٣)، ج ٢٧، ص ١٤١.
- (٣٢) ابو شامة، ذيل، ج ٥، ص ١٥٣.
- (٣٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٥٠؛ محمد بن علي بن محمد شبانكاره اي، مجمع الانساب، تصحيح مير هاشم محدث، (تهران: ١٣٨١)، ج ١، ص ٢٠٠.
- (٣٤) ابو شامة، ذيل، ج ٥، ص ١٥٤.
- (٣٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٩٤.
- (٣٦) مؤيد الدين القمي: ولد في مدينة قم احدى مدن اقليم الجبال، ونشأ في بغداد وتوفي بها وقد تولى الوزارة في عهد الخلفاء العباسيين (الناصر والظاهر والمستنصر). ثم قبض عليه المستنصر سنة (١٢٣١/٥٦٢٩م) ثم توفي في سنة ١٢٣٠/٥٦٣٠، ويذكر الذهبي تاريخ وفاته في سنة (١٢٣٢/٥٦٣٠م) ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٣٠٥؛ سير اعلام النبلاء، تحقيق محي الدين ابي سعيد وعمر بن غرامة العمري، (بيروت: ١٩٩٦)، ج ١٦، ص ٢٨١.
- (٣٧) ابن الجزري، المختار من تاريخ ابن الجزري، تحقيق خضير عباس محمد خليفة المنشاوي، (بيروت: ١٩٨٨)، ص ١٠٧.
- (٣٨) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، (حيدر آباد: ١٩٥١)، ج ٨، ق ٢، ص ٥٩٩.
- (٣٩) اسد اباد: وهي مدينة تبعد عن همدان بـ (٧) فراسخ. الاضطري، المسالك والممالك، ص ١١٥.
- (٤٠) الكامل، ج ٩، ص ٦٥٠؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٢١١؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (المسمى البشر، تحقيق محمود ديوب، (بيروت: ١٩٩٧)، ج ٢، ص ٢١١؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (المسمى تتمة المختصر في اخبار البشر)، (بيروت: ١٩٥١)، ج ٢، ص ٢٠٠.
- (٤١) طائيسي او ايغان طائيسي: هو احد رجال محمد خوارزمشاه البارزين وقد جعله الاخير اتابكا لابنه ركن الدين غورشايجي، عندما منحه حكم اقليم الجبال، وحاول طائيسي التفرد بالامور دون غورشايجي فكان ذلك سببا لايداعه السجن بقلعة سرجهان من قبل محمد خوارزمشاه، ثم اطلق سراحه بعد وفاة الحاكم الخوارزمي من قبل والي القلعة اسد الدين الجويني، وحاول هذا الاتابك مرة اخر التفرد بحكم اقليم الجبال واتصل بالخليفة العباسي لمساندته بالتمرد على الخوارزميين لكنه فشل. للمزيد عنه ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٤٤-١٤٧.
- (٤٢) ركن الدين غورشايجي هو ثاني اولاد السلطان محمد خوارزمشاه بعد جلال الدين منكبرتي، وقد فوض اليه والده حكم الاقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية وهي العراق العجمي (اقليم الجبال) وكان احسن اولاد محمد خوارزمشاه خلقا وخلقا، وسبب تسميته غورشايجي لانه ولد يوم وصول البشارة على السلطان بتملك بلاد الغوريين، كما زوجه السلطان ابنة هزار اسب امير بلاد اللور الكبير لحسن علاقاته معه، قتل على يد المغول سنة (١٢٢١/٥٦١٧م) اثناء حملاتهم على اقليم الجبال. للمزيد عنه ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٧٢-٧٣.
- (٤٣) عماد الدين الساوي: هو عماد الملك او عماد الدين محمد بن السديد الساوي، اصله من ساوه احد البلدات التابعة لهمدان، وقد تدرج في المناصب فأول ما ولي كان نائبا للوزير نظام الملك في خوارزم، وتمتع بثقة محمد خوارزمشاه، فولاه وزيرا لابنه ركن الدين غورشايجي اثناء حكمه لاقليم الجبال، وكانت السلطة الفعلية بيده وليس لركن الدين الا الاسم، وكان مع السلطان محمد خوارزمشاه اثناء هروب الاخير امام المغول سنة

- (٦١٧/هـ ١٢٢٦م) ووقع في كمين للقوات المغولية في احد قرى همدان، وقتل بايديهم ونجا السلطان في هذه المعركة. ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٧٢، ص ١٠٤-١٠٦.
- (٤٤) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٥٠.
- (٤٥) علي محمد علي عودة الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي (٥٨٩-٦٥٩/هـ ١١٩٣-١٢٥٩م)، (مكة المكرمة: ١٩٨٨)، ص ٣٦٨.
- (٤٦) الكامل، ج ٩، ص ٦٨٠.
- (٤٧) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، (بيروت: ٢٠١٥)، ص ٤٠١.
- (٤٨) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٩؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٥.
- (٤٩) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٥٥؛ العمري، مسالك الابصار، ج ٢٧، ص ١٤١؛ محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، (النجف الاشرف: ١٩٧٠)، ص ٢٥.
- (٥٠) تعتبر اترار مفتاح اقليم ما وراء النهر، وتقع على نهر سيحون، وتشتهر هذه المدينة بحادثتين هامتين في التاريخ، فقد كان استيلاء المغول عليها سنة ٦١٦/هـ ١٢٢٠ م بداية سقوط اقاليم اسيا الغربية في ايدي المغول، وفي مدينة اترار ايضا توفي تيمورلنك سنة ٨٠٨/هـ ١٤٠٥ م، بينما كان يتأهب لقيادة حرب ضد امبراطور الصين. تفاصيل هذه المذبحة ينظر ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٨٢-٦٨٨؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٤-٦٦-٨٣.
- (٥١) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٨٢-٦٨٣؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٨٣؛ عطا ملك الجويني، تاريخ جهانكشاي، ترجمة محمود التونجي، (دم: ١٩٨٥)، ج ٢، ص ٩؛ القزاز، الحياة السياسية، ص ٢٦-٢٩.
- (٥٢) تاريخ جهانكشاي، ج ٢، ص ٩.
- (٥٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٨٨.
- (٥٤) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٦٨٨؛ سبط، مرآة، ج ٢، ص ٦٠٩.
- (٥٥) ارمينوس فاميري، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد محمود السواني، (القاهرة: د ت)، ص ١٧٦.
- (٥٦) الكامل، ج ٩، ص ٦٨٨؛ القزاز، الحياة السياسية، ص ٣٤.
- (٥٧) كان فقهيا فاضلا مبرزاً مفتياً في مذهب الشافعي رضي الله عنه وقد جمع الى الفقه والطب والخلافة وسائر العلوم الفصاحة واللسن والتدبير الحسن. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٩.
- (٥٨) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٨٨؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٩؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، (القاهرة: ١٩٨١)، ص ٥٧.
- (٥٩) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٩-١١٠.
- (٦٠) المصدر نفسه، ص ١١٠.
- (٦١) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٤.
- (٦٢) ساوة: مدينة تقع بين الري وهمدان وبينها وبين كل واحد من الري وهمدان ثلاثون فرسخا وبقرها مدينة تسم اوه، ومدينة ساوة اهلها سنة شافعية للمزيد عنها ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٩.
- (٦٣) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٤؛ كذلك ينظر ايناس حسني محمد، المغول وغزو الدولة الاسلامية، (الاسكندرية: ٢٠١٤)، ص ١٤٨.
- (٦٤) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٤.
- (٦٥) بسطام: اقليم في مقاطعة قومس وهي متصلة بحدود جرجان وتمتاز بكثرة بساتينها واليها ينتسب ابو يزيد البسطامي الزاهد. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٢١؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت: ١٩٨٧)، ج ٤، ص ٣٨٩؛ مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، (القاهرة: ١٩٩٩)، ص ١١١.
- (٦٦) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٤-١٠٥؛ ينظر كذلك البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق يحيى مراد، (بيروت: ٢٠٠٤)، ص ٦٦؛ براون، تاريخ الادب في ايران، ترجمة ابراهيم امين الشواربي، (القاهرة: ٢٠٠٥)، ص ٥٥٩.
- (٦٧) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ٢، ص ٢١-٢٢؛ عباس اقبال، تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، (ابو ظبي: ١٩٥٨)، ص ٧٦؛ بارتولد، تركستان، ص ٥٩٨.
- (٦٨) غياث الدين بيرشاه: هو الابن الثالث للسلطان محمد خوارزمشاه، منحه والده حكم اقليم الجنوبية من الدولة الخوارزمية وتشمل كرمان مكران وكيش وبعد وفاة والده سنة (٦١٧/هـ ١٢٢١م) وانسحاب اخيه جلال الدين ال الهندي، سيطر هو على اقليم الجبال بعد ان اناب على حكم كرمان الحاجب براقا، واخيرا قتل بيد الحاجب نفسه سنة (٦٢٥/هـ ١٢٢٩م) للمزيد عنه ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ٧٢، ص ٢٤٣-٢٤٤.

- (٦٩) قلعة قارون: وهي إحدى القلاع الداخلية في جبال البرز (السلسلة الجبلية بين الري وطبرستان ودامغان). ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ٢، ص ٢٢.
- (٧٠) نصرة الدين هزار سب: هو ثاني امراء بلاد اللور الكبير، حكم الامارة بعد وفاة والده ابا طاهر، وظل يحكم حتى وفاته سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وكانت علاقاته جسيمة مع الخليفة العباسي الناصر ومنحه لقب اتابك، وشهدت مدن اللور في عهده حركة عمرانية كبيرة، ومعنى اسمه الف جواد. للمزيد عنه ينظر: اقبال، تاريخ المغول، ص ٤٣٣-٤٣٤.
- (٧١) شيران كوه: معناها جبال الاساد. ينظر الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ٢، ص ٢٢.
- (٧٢) الشوانكاره: تقع بلادهم في المنطقة الفاصلة بين فارس وكرمان، ومن مدنهم دارا مجرد ونيربز وايچ وفركو طارم، وعرف حكامهم بملوك شبانكاره او امراء ايچ واصلهم من الفرس القدماء يرجعون نسبهم الى اردشير بابكان. وعد احد المؤرخين بانهم احد سكان اقليم الجبال اشتهروا بكرم الضيافة ومساعدة الفقراء. ينظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج ٣، ص ٢٨١؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٧٥-٣٧٦.
- (٧٣) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٥-١٠٦؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ٢، ص ٢٣-٢٤؛ بارتولد، تركستان، ص ٥٩٩.
- (٧٤) دامغان: وهي مدينة كبيرة تقع بين الري ونيسابور وهو قصبه قومس وتمتاز بكثرة الفواكه، والرياح لا تنقطع بها ليلا ولا نهارا، وعدّها احد البلدانيين انها ضمن بلاد الديلم. للمزيد عنها ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٣؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١١١.
- (٧٥) سمنان: بلد مشهور من بلاد الديلم يقع بين الري ودامغان للمزيد عنه ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٥١؛ الحموي، المشترك وضعا والمفترق صقعا، (د/م: ١٨٤٦)، ص ٢٥٣.
- (٧٦) النسوي سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٥-١٠٦؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ٢، ص ٢٣-٢٤؛ بارتولد، تركستان، ص ٥٩٩؛ ارسينوس فاميري، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد محمود الساداتي، (القاهرة: د/ت)، ص ١٧٦.
- (٧٧) سرجهان: قلعة محكمة كانت قائمة على جبل في محاذة طارمين غير بعيدة عن سلطانية قرب قزوين ومعناها راس الدنيا. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٧.
- (٧٨) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ٢، ص ٢٤؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٧٧.
- (٧٩) جيلان: اسم مدينة تقع وراء طبرستان، ويذكر ياقوت الحموي بانه ليس في جيلان مدينة كبيرة انما هي قرى في مروج بين الجبال. معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠١.
- (٨٠) امل: اكبر مدينة في طبرستان من ناحية السهل بينخا وبين سارية (١٨) فرسخا، واشتهرت بعمل السجادات والبسط. للمزيد ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٨-٥٧.
- (٨١) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٨٩؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٨؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ٢، ص ٢٤؛ العمري، مسالك، ج ٧، ص ١٥٢-١٥٣؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، (بيروت: ١٩٩٧)، ص ٢٦٥؛ شبانكاره، مجمع الانساب، ج ٢، ص ٢٢١.
- (٨٢) الكامل، ج ٩، ص ٦٩١-٦٩٢.
- (٨٣) سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٠٨.
- (٨٤) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٩١-٦٩٢؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، (الاسكندرية: ١٩٨١)، ص ٧٢.
- (٨٥) Howorth, History of the mangols, (London: 1876), part 1, p93
- (٨٦) الكامل، ج ٩، ص ٦٩١-٦٩٢، محمود السيد، التتار والمغول، (بيروت: ٢٠٠٦)، ص ٨٨-٨٩.
- (٨٧) زنجان: وهي مدينة كبيرة مشهورة في نواحي اقليم الجبال، وهي قريبة من ابهر وقزوین، والعجم كانوا يسمونها زنكان وخرج منها جماعة من اهل العلم والادب والحديث. للمزيد عنها ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٢-١٥٣.
- (٨٨) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٩١-٦٩٢؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ترجمة مختار جبلي، (باريس: ١٩٩٥)، ص ٤٢؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٧٤.
- (٨٩) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٩٦.
- (٩٠) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٦٩٢-٦٩٩.
- (٩١) سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٤٠.
- (٩٢) جمال الدين اي ابيه: لم اجد له ترجمة في المصادر.
- (٩٣) مسعود بن صاعد: لم اجد له ترجمة في المصادر.
- (٩٤) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٤٠.
- (٩٥) صدر الدين الخجندي: لم اجد له ترجمة في المصادر ويرجح انه ينتسب الى مدينة خجندة الواقعة في اعالي نهر سيحون.

- (٩٦) النسوي، سيرة السلطان سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٤٠.
- (٩٧) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٤٠؛ القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٤٩٥.
- (٩٨) الموت: كلمة فارسية، مكونة من كلمتين (اله اموت) ومعناه (تعليم العقاب) وهي قلعة حصينة ببلاد الديلم شمال مدينة قزوین. ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٨٤؛ المستوفي القزويني، نزهة القلوب، ص ٦١.
- (٩٩) فيروزكوه: قلعة في بلاد طبرستان قرب دناوند مشرفة على بلدة يقال لها ويمة، وقد راها الحموي.
- ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٨٤.
- (١٠٠) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٤١-١٤٢؛ القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٤٩٥.
- (١٠١) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٤٩٥.
- (١٠٢) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٤٢-١٤٣.
- (١٠٣) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص ١٤٣.
- (١٠٤) داقوقا: مدينة تقع بين اربل وبغداد للمزيد عنها ينظر الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥٩.
- (١٠٥) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٩٦.
- (١٠٦) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ٦٩٧؛ ابن ابي الحديد، نهج البلاغة، ص ٤٤-٤٥.
- (١٠٧) الكامل، ج ٩، ص ٦٩٧.

D'OHSSON, HISTOIRE DES MONGOLS, (Amsterdam:1852), P:35)108 (

Abstract

This study covers a difficult period of the history of the Mountain Region era especially during the control of Sultan Khwarizmi on this region in (614 AH-1218 AD), again restore the power there and making progress towards the capital of the Caliphate. The research also seeks to determine the position of the Abbasid Caliphate from this Khwarizmi expansion towards its territory and ways to address it.

The study also dealt with the impact of the Khwarizmi Mongols conflict on the region during the years (616-617 AH / 1220-1221 AD), which can be considered the first beginnings of the Mongol invasion of the areas adjacent to the territories of the Abbasid Caliphate by processing the Mongols to two military divisions led by the most skilled commanders to follow the Sultan Khwarizmi fugitive to the Mountain Region and eliminate it.

The study also dealt with the attacks of the Mongols during their chase for Sultan Khwarizmi traveling among the cities of the Mountain Region where they committed looting and murder acts against the people of those cities.